استئناف بياني فإن إجراء تلك الصفات الغر على القرآن الدالة على أنه قد استكمل أقصى ما يوصف به كلام بالغ في نفوس المخاطبين كيف سلكت آثاره إلى نفوس الذين يخشون ربهم مما يثير سؤالا يهجس في نفس السامع أن يقول : كيف لم تتأثر به نفوس فريق المصرين على الكفر وهو يقرع أسماعهم يوما فيوما فتقع جملة (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) جوابا عن هذا السؤال الهاجس .

فالإشارة إلى مضمون صفات القرآن المذكورة وتأثر المؤمنين بهديه أي ذلك المذكور هدى الله أي جعله الله سببا كاملا جامعا لوسائل الهدى فمن فطر الله عقله ونفسه على الصلاحية لقبول الهدى سريعا أو بطيئا اهتدى به كذلك ومن فطر الله قلبه على المكابرة أو على فساد الفهم ضل فلم يهتد حتى يموت على ضلاله فأطلق على هذا الفطر اسم الهدى واسم الضلال وأسند كلاهما إلى الله لأنه هو جبار القلوب على فطرتها وخالق وسائل ذلك ومدبر نواميسه وأنظمته .

فمعنى إضافة الهدى إلى الله في قوله (ذلك هدى الله) راجع إلى ما هيأه الله للهدى من صفات القرآن فإضافته إليه بأنه أنزله لذلك .

ومعنى إسناد الهدى والإضلال إلى الله راجع إلى مراتب تأثر المخاطبين بالقرآن وعدم تأثرهم بحيث كان القرآن مستوفيا لأسباب اهتداء الناس به فكانوا منهم من اهتدى به ومنهم من ضل عنه .

أي الله هدى القرآن ذلك أي الكتاب وهو (الحديث أحسن) إلى الإشارة تكون أن ويجوز A E دليل هدى الله . ومقصده : اهتدى به من شاء الله اهتداءه وكفر به من شاء الله ضلاله .

فجملة (ومن يضلل الله فما له من هاد) تذييل للاستئناف البياني .

ومعنى (من يشاء) على تقدير : من يشاء هديه أي من تعلقت مشيئته وهي إرادته بأنه يهتدي فخلقه متأثرا بتلك المشيئة فقدر له الاهتداء وفهم من قوله (من يشاء) أنه لا يهدي به من لم يشأ هديه وهو ما دلت عليه المقابلة بقوله (ومن يضلل الله فما له من هاد) ن أي من لم يشأ هديه فلم يقلع عن ضلاله فلا سبيل لهديه .

والمعنى : إن ذلك لنقص في الضال لا في الكتاب الذي من شأنه الهدى .

(أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) الجملة اعتراض بين الثناء على القرآن فيما مضى وقوله الآتي (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) .

وجعلها المفسرون تفريعا على جملة (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) بدلالة مجموع الجملتين على فريقين : فريق مهتد وفريق ضال ففرع على ذلك هذا

الاستفهام المستعمل في معنى مجازي .

وجعل المفسرون في الكلام حذفا وتقدير المحذوف : كمن أمن العذاب أو كمن هو في النعيم . وجعلوا الاستفهام تقريريا أو إنكاريا والمقصود : عدم التسوية بين من هو في العذاب وهو الضال ومن هو في النعيم وهو الذي هداه ا وحذف حال الفريق الآخر لظهوره من المقابلة التي اقتضاها الاستفهام بناء على أن هذا التركيب نظير قوله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) وقوله (أفمن شرح ا صدره للإسلام) والقول فيه مثل القول في سابقه من الاستفهام وحذف الخبر وتقديره : أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب لأن ا أضله كمن أمن من العذاب لأن ا هداه وهو كقوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله) . والمعنى : أن الذين أهتدوا لا ينالهم العذاب .

ويجوز عندي أن يكون الكلام تفريعا على جملة (ومن يضلل ا فما له من هاد) تفريعا لتعيين ما صدق (من) في قوله (ومن يضلل ا فما له من هاد) ويكون (من يتقي) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره : أفهو من يتقي بوجهه سوء العذاب والاستفهام للتقرير .

والاتقاء : تكلف الوقاية وهي الصون والدفع وفعلها يتعدى إلى مفعولين يقال : وقى نفسه ضرب السيف ويتعدى بالباء إلى سبب الوقاية يقال : وقى بترسه وقال النابغة : .

سقط السيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد